

تفسير ابن كثير

يذكر تعالى أنه فرقهم في الأرض أمما أي طوائف وفرقا كما قال { وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا } { منهم الصالحون ومنهم دون ذلك } أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول الجن { وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا } { وبلوناهم } أي اختبارناهم { بالحسنات والسيئات } أي بالرخاء والشدة والرغبة والرهبة والعافية والبلاء { لعلهم يرجعون } ثم قال تعالى { فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى } الآية يقول تعالى : فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلف آخر لا خير فيهم وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد : هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك { يأخذون عرض هذا الأدنى } أي يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ويسوفون أنفسهم ويعدونها بالتوبة وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه ولهذا قال { وإن يأثمهم عرض مثله يأخذوه } وكما قال سعيد بن جبير يعملون الذنب ثم يستغفرون ^١ منه ويعترفون ^٢ فإن عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله تعالى : { يأخذون عرض هذا الأدنى } قال لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة { ويقولون سيغفر لنا وإن يأثمهم عرض مثله يأخذوه } وقال قتادة في الآية إي وإياهم لخلف سوء { ورثوا الكتاب } بعد أنبيائهم ورسلمهم أورثهم ^٣ وعهد إليهم وقال ^٤ تعالى في آية أخرى { فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة } الآية قال { يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا } تمنوا على ^٥ أمانى وغرة يغتربون بها { وإن يأثمهم عرض مثله يأخذوه } لا يشغلهم شيء ولا ينهأهم شيء عن ذلك كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالا كان أو حراما وقال السدي : قوله { فخلف من بعدهم خلف } إلى قوله { ودرسوا ما فيه } قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشي في الحكم ؟ فيقول سيغفر لي فتطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي يقول وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه قال ^٦ تعالى : { ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على ^٧ إلا الحق } الآية يقول تعالى منكرًا عليهم في صنيعهم هذا مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليبين الحق للناس ولا يكتُمونه كقوله { وإذا أخذ ^٨ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتُمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون } وقال ابن جريج قال ابن عباس { ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على ^٩ إلا الحق

{ قال فيما يتمنون على اﷻ من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها
وقوله تعالى { والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون } يرغبهم في جزيل ثوابه
ويحذرهم من وبيل عقابه أي وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل
على طاعة ربه { أفلا تعقلون } يقول أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل
يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى
اتباع رسوله محمد صلى اﷻ عليه وسلّم كما هو مكتوب فيه فقال تعالى : { والذين يمسكون
بالكتاب } أي اعتصموا به واقتدوا بأوامره وتركوا زواجه { وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع
أجر المصلحين }